ركفلر ومقدرة المال

لما هلَّ القرن الماضي كانت اوربا واقفة ترقب بونابرت القائد العظيم الذي نبغ من مصاف الجنود فقاد الفيالق وساد الممالك بعلو همتهِ وصدق عزيمتهِ ومهارتهِ في فنون القتال ودرايتهِ في اختيار الرجال . وقد هلَّ القرن الحاضر واميركا ترقب رجالاً نبغوا من صفوف العامَّة فبلغوا بعلو همتهم وصدق عزيمتهم ومهارتهم في ادارة الاعمال واستخدام الاكفاء من الرجال مقاماً لا يحط عن مقام بونابرت ولا هو اقل منهُ خطراً ولكنهُ اسلم منهُ عاقبةً واقل ضرراً . وفي مقدمة هؤلاء الرجال جون ركفلر صاحب الملايين الوفيرة والمبرَّات الكثيرة . وقد ذكرنا ترجمتهُ منذ عهد قريب فلا نعود اليها ولكننا اطَّلعنا الآن على وصف بديع لهُ في جرنال نيويورك وعلى ما يستطيع عملهُ باموالهِ تحت عنوان " شلالات من المال والقوة " فانتطفنا منهُ ما يأتي

جون ركفلر اعظم رجل على وجه البسيطة من حيث قوتهُ وما يستطيعهُ . فليس في الناس رجل مثلهُ ولا وجد قبلهُ شبيهٌ لهُ . وقوتهُ متنوعة فهو شجاع مثابر صبور قادر على ترتيب الاعمال وتنظيمها زكين في الدرجة القصوى يعرف طباع الناس واخلاقهم . يملأُ الزمن الذي هو فيهِ كأنهُ خُلق لهُ . بعيد النظر في العواقب ينظر الى المستقبل البعيد ويراهُ واضحًا جليًّا ولو خفي على غيرهِ ويصرّف الامور ويعلّلها حتى توافقهُ بينما غيرهُ يستعد ويتهيأُ حتى يوافقها . معدتهُ المالية على غاية المرونة فتكتفي بالأرنب الصغيرة وتستطيع ان تبتلع الجاموس الكبير . عندهُ الآن اكثر مما يحتاج اليهِ هو والف الف نفس مثلهُ ولا يزال يغترف الاموال اغترافًا كالحوت لا يرويهِ شيءٌ يلتهمهُ . تراهُ رابضًا في ربوع اميركا كالتنين الكبير واعضاؤهُ واصلة الى اوربا واسيا وقد فغرفاهُ ليبتلع ما يمكن ابتلاعهُ منهما . تظنهُ قد شبع وانتخم فنام ولم يعد يستطيع النهوض ولكنهُ في الحقيقة فاتح عينيهِ واذنيهِ فلا تدنو فريسة منهُ الاَّ ابتلعها

لو كان من ذوي المطامع والآمال الكبيرة كما كان بونابرت لقي الناس منهُ الامرّين لانهُ يستطيع كلَّ شيءٍ في هذا الزمن زمن الدينار يستطيع ان يستأجر مليون رجل ويجعلهم طوع امرهِ ويحكم بهم وباموالهِ على خمسين مليونًا من النفوس لكن العناية حرمتهُ من هذه المطامع ولجمتهُ كما تلجم مياه البحر حتى لا تتعدّى ساحلهُ ولم تعطهِ الاَّ الرغبة في جمع المال وعمل بعض المبرات

ولو كان من ارباب العلم واهل الغيرة الشديدة على نوع الانسان لاستطاع ان يعمل العجائب بمالهِ لكنهُ قانع بان يكتب على قبرهِ كان فلان اغنى الاغنياء لا ان يقال انهُ انفق غناءهُ كلهُ على نفع ابناء نوعهِ

كما امتاز الاسكندر بقوتهِ الحربية امتاز ركفلر بقوتهِ المالية . الاسكندر قهر الفرس وتسلّط عليهم بحفنة من الجنود المكدونية وكذلك ركفلر تغلّب على الاميركيين وتسلط على الملايين من اموالهم بالمال القليل الذي كان معهُ اولاً فاصبح سلطان المال واغنى مَن على وجه البسيطة وكل ريال من اموالهِ بمثابة رجل يعمل نهارًا كاملاً فقوتهُ قوة ملايين من الرجال

ان الذين حفظت اسماؤهم من ملوك مصر الاولين هم الذين استطاعوا ان يستخدموا الرجال ويديروهم فجعلوهم يبنون لهم الاهرام والهياكل . جمعوا بين القوة الحربية والدينية والجهل الذي كان متسلطًا على الناس واستخدموا هذه القوى الثلاث للتسلط على الالوف من بني الانسان وتسخيرهم في الاعمال . هذا كان شأن الملوك في الزمن الغابر . اما ملوك المال في هذا العصر فاموالهم تعمل لهم ما يشاءون وهي في خزائن البنوك لا تأكل ولا تشرب ولا تنام ولا تتعب

لكن كل ريال منها يعمل ما يعملهُ العامل في يومهِ . وهي ليست مثل جنود الملوك تعمل وقت الحرب وتنام او تتفرَّق وقت السلم بل تعمل دواماً نهاراً وليلاً صيفاً وشتاء وتتوالد وتتكاثر من غير زواج ومن غير مخاض . ولا هي مثل عمال المعامل تعتصب وتتآمر وتشكو من قلة الاجور وطول ساعات العمل . ولا موضوعة حيث يفسد السوس والصدأ وينقب السارقون ويسرقون

على ان الناس عموماً لا يدركون حقيقة قوة روكفلر وربما لا يدركها هو ايضاً تماماً لانها فاقت تصوراتهِ ومطامعهُ . فان لهُ جميع منابع زيت البترول في الولايات المتحدة والبترول لا يفيد شيئاً الَّا اذا كان ملك روكفلر لان سكك الحديد لا تجسر على نقلهِ من مكان الى آخر الَّا برضاهُ وموافقتهِ . ويقال ان عندهُ الآن الف مليون ريال (٢٠٠ مليون جنيه) لكن ثروتهُ اكثر من ذلك فان ثمن منابع البترول وحدها يبلغ خمسة آلاف مليون ريال على اقلّ تقدير وهي إما لهُ او مآلها اليهِ . وهو يستطيع ان يزيد ثمنها قدر ما يشاء بزيادة ثمن البترول وقد ضاعف ثمن الكازولين بكلمة واحدة حالما عرف ان طلبهُ سيزيد باستعمال مركبات الاوتوموبيل لهُ فزاد ربحهُ منهُ اضعافاً مضاعفة

ومما لا ريب فيهِ انهُ لو شاء ان يبيع كلَّ ما يمتلكهُ الآن باسعارهِ الحالية ما وُجد في الولايات المتحدة كلها بل في العالم بامرهِ ذهبٌ كافٍ لدفع الثمن نقداً . فتضطر البنوكة ان تعمل اوراقاً مالية غير التي فيها لدفع المال المطلوب لهُ

ولهُ كثير من سكك الحديد ملكاً وجميع سكك الحديد الاميركية تحت سلطتهِ فهو سلطانها الذي يُجانَب ولا يُعانَد . وقد اخذ يدرب الآن احد ابنائهِ على ادارة سكك الحديد حتى اذا مات خلفهُ من يستطيع احتكارها كما احتكر هو زيت البترول . وهو صاحب شركات الكهربائية والغاز التي تنير مدينة نيويورك وغيرها من مدن اميركا الكبيرة . ولهُ اكثر الاسهم في سكك الحديد الممتدة في شوارع نيويورك ومدن كثيرة غيرها

ومن العبث ان يفكّر احد في تقدير ممتلكاتهِ كلها فيقال بالاختصار ان المال ملك وهو ملك المال وتحت امرهِ نحو مليون من العمال الذين لهم حق الانتخاب . ولو اراد ان يزيد اجورهم ضعفين او ثلاثة لاستطاع لانهُ يتقاضى الزيادة من الجمهور باضافتها الى ثمن ما يشترونهُ او يستعملونهُ . وهم طوع امرهِ فيستطيع ان يتسلط بهم على كل الانتخابات من انتخاب رئيس الجمهورية الى انتخاب شيخ القرية فتصير حكومة البلاد في يدهِ ولكن مطامعهُ لا تتجه الى تلك الجهة فان التجارة والامارة لا تجتمعان في شخص واحد وروكفلر تاجر لا امير فلا يمكن ان يحذو حذو نبوليون ولا يهمهُ التسلُّط على الممالك مثلهُ

وهو لا يميل الى الفخفخة والابهة الخارجية ولا يُعَدُّ من المسرفين ولا يستخدم احدًا من الخدم الذين لا عمل لهم مثلما كان يفعل الاغنياء من اهل الجاه والترف فهو من الوجهة الاقتصادية اقلُّ ضررًا من امير او من وجيه يقوم الغلمان في بابهِ من غير عمل يعملونهُ . وهو خير وصيٍّ يمكن تعيينهُ لادارة امواله . لا ينفق على نفسهِ من ثروتهِ الطائلة سوى النزر القليل لضعف معدتهِ ولا يقتني من الملاهي بسوى لعبة "الجولف" ولا يراهن فيها على اكثر من ريال . وقد عمَّر بيوتًا كثيرةً فاغتنى كثيرون بالاتصال بهِ او بالانتفاع منهُ ولا يبعد ان يكون قد خرب بيوتًا اخرى من الذين تضاربت مصالحهم ومصالحهُ ولكن يقال بالاجمال انهُ هو وامثالهُ قوة عظيمة في الدنيا لتكثير الراحة وتقليل التعب

توحيد الدين العثماني

رغمًا عمَّا ينتاب الدولة العثمانية من المتاعب في الزمن الحاضر نرى المتمولين من الاوربيين لاهين عن حوادث مقدونية ودائبين وراء توحيد الدين العثماني الذي تتولى ادارتهُ لجنة دولية منذ ٢٣ سنة . وهذا التوحيد ليس بحديث العهد اذ ان الدولة العثمانية حاولت منذ سنوات تغيير الهيئة التي عوّل عليها دائنوها لاستيفاء ديونهم . فالارادة السنية التي صدرت في شهر محرم سنة ١٢٩٩ قاضية بنوعية دفع فوائد القروض التي عقدتها الدولة حتى سنة ١٨٧٥ واقساطها لم تكن مستوفاة الشروط من حيث التقسيط على الاخص . لهذا ارتأت الدولة ان تحوّر بعض البنود من تلك الارادة آملة اصابة بعض الفوائد المالية من وراء التحوير . وآخر ما عولت عليهِ هو ان تكل الى المسيو روفيه قبل توليهِ وزارة المالية الافرنسية تحقيق امانيها. وقبل شروعنا في الكلام عن كيفية توحيد الدين العثماني يجدر بنا ان نبين اصلهُ

في ٢٠ دسمبر (كانون الاول) سنة ١٨٨١ صدرت ارادة سنيَّة دعاها الماليون ارادة محرَّم وبها جمع شمل القروض التي عقدتها الدولة منذ سنة ١٨٥٨ الى سنة ١٨٧٥ اي الى اليوم الذي فيهِ توقفت الدولة العثمانية عن دفع اقساط الدين وفوائدهِ . وهذه القروض مع فوائدها المتأخرة واضافة ١٠ بالمائة اليها عوضًا عن الفوائد التي لم تدفع في اوقاتها بلغت ١١٦٬١٣٥٬٠٦٢ ليرة عثمانية سنة ١٨٨١

ولما كانت اكثرية الدائنين من الاجانب تشكلت لجنة بالنيابة عن الدائنين غرضها استيفاء هذه الديون من بعض الايرادات كالملح والتتفة والمشروبات الكحولية ومصائد الاسماك